

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رمضان 1421 - دراسات قرآنية - الدرس : 20 - من سورتي الرعد والحجر - ما هي الثوابت التي يعتقدونها المسلمون؟ .

07-12-2000

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.  
أيها الأخوة ؛ في حياة المؤمن بنیان ثابت، لفت نظري أن محاضرا ألقى محاضرة عن أمريكا، قال: ليس فيها شيء ثابت، كل شيء خاضع للبحث والإنكار، هذا نمط من التفكير، لكننا كمسلمين عندنا ثوابت، أول هذه الثوابت هذا الكون، يقر بإعجازه وعظمته وما فيه من علم وحكمة ولطف ودقة تقدير كل إنسان حتى الملحد، فهذا الكون يدل على الله، يجسد أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى، إنك إن عملت عقلك فيه توصلت باليقين القطعي إلى أن لهذا الكون خالقا عليما حكيما عليما رحیما، حتى إن أكبر عالم في الفيزياء قال: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، رحیمة هي أرحم ما تكون، حكيمة هي أحكم ما تكن هو إنسان حي و لكنه ميت، أنت من خلال أعمال عقلك من خلال السماوات والأرض تستنتب أن هناك إلها عظیما، وخالقا عليما وربا رحیما، كمال الخلق يدل على كمال التصرف، لا يعقل أن هذا الإله الرحيم الحكيم العليم أن يخلق الخلق سدى بلا هدف، أيعقل أن يعبث؟  
مستحيل:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾

(سورة المؤمنون)

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (36)

(سورة القيامة)

لا بد من أن يبلغهم، لا بد من أن يلفت نظرهم، لا بد من أن يبين لهم، فكانت الكتب السماوية، طيب هذا الكتاب ما الذي يؤكد أنه كلام الله ؟ إعجازه، يعني فيه إعجاز علمي و بلاغي و إخباري، ونظمي، لا يمكن لإنسان عاقل أن يشك لحظة أنه من كلام البشر، طيب هذا الذي جاء بهذا القرآن هو قطعاً رسول الله، انظر إلى التسلسل ؛ أمنا بالله من خلال خلقه، وأمنا بالكتاب من خلال إعجازه، و أمنا بالنبى من خلال كتابه:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾

(سورة الرعد)

أنت لست رسولا:

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43) ﴾

(سورة الرعد)

من جاء بهذا الكتاب، ما دام الكتاب معجزا الذي جاء به رسول الله، كل هذا منوط بالعقل، أن تؤمن أن لهذا الكون خالفا عليما حكيما رحيفا لطيفا من خلال خلقه، وأن تؤمن أنه لم يدع خلقه من دون تبليغ، فوصل لهم القول، وقد أكد وشهد لهم أن هذا كلامه من خلال إعجازه، ثم إن هذا الذي جاء بهذا الكتاب هو رسوله، انتهى دور العقل، بعد القرآن جاء دور النقل، الآن قد يعجز عقلك عن إدراك حقيقة جاء بها القرآن، أخبرك عن الماضي السحيق والمستقبل البعيد، وعن تاريخ الأمم والشعوب، وعن منهجك التفصيلي، افعل ولا تفعل، هذه المنظومة الله تؤمن به من خلال خلقه، وكتابه من خلال إعجازه، ورسول من خلال كتابه، ثم يخبرك الله عز وجل عن كل الحقائق، بل الشيء الذي يعجز عقلك عن إدراكه أخبرك الله به، هذه ثوابت المؤمن.

الآن إذا قضية إخبارية أخضعها للبحث فهو غير مؤمن، أنت بعد أن آمنت أن الله عز وجل خالق السماوات والأرض، وبعد أن آمنت أن هذا القرآن كلامه، وأن الذي جاء به رسوله، دورك دور التلقي وليس دورا أن تتحكم في النقل، أو أن تخضعه لموازين الأرض، أنت الآن تتلقى عن الله، هذا المنهج منهج علمي، وحينما تقسم الموضوعات إلى موضوعات حسية تعرفها بحواسك، وموضوعات عقلية تعرفها بعقلك، وموضوعات كبيرة جدا إخبارية، تعرفها من خلال الخبر الصادق، أي لن تستطيع أن تأتي بجديد أن هناك جنأ، إلا أن الله أخبرنا بهذا، ليس عندك دليل قطعي على أن هناك حوضا يوم القيامة، يسقى منه المؤمنون، إلا أن الله أخبرنا بذلك، والنبى أخبرنا، شكل منظومة ؛ قضايا حسية، وقضايا عقلية، وقضايا إخبارية، هذا من قوله تعالى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43) ﴾

(سورة الرعد)

هناك آية يقول الله عز وجل:

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5) ﴾

(سورة إبراهيم)

لا أحد منا إلا وعنده أيام الله، كان في ضائقة دعا الله عز وجل ففرج عليه، كان في كرب فاصطلح مع الله فأزاحه عنه، كان له عدو مخيف يهدده فنصره الله عليه، هذه أيام الله، حبذا لو تسجل، ومن حين

لآخر اقرأها، تذكر نعمة الله عليك، كيف هداك إليه، وكل واحد له قصة لبدايته، عن طريق صديق أو كتاب أو شريط أو مرور عابر في مسجد، هذا كله من أيام الله، هذه أيام الله تذكرك بالله و تملأ قلبك محبة له، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5) ﴾

(سورة إبراهيم)

يقول لك: إنجاز، هذا الإنجاز مهما كان ضخما إن لم يُوظَّف للأخرة سوف يدمره الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18) ﴾

(سورة إبراهيم)

أي أن تضيع حياتك كلها في عمل لا وزن له في الآخرة، أن تضيع حياتك كلها في عمل ليس له وزن في الآخرة، أي إذا الإنسان أتقن الأنعام وملا حياته نعما و طربا، ثم جاءه الموت ماذا يفعل بهذه الأنعام؟ دائما فكِّر هذا العمل له مستقبل في الآخرة، له أثر مستقبلي، إن لم يكن له أثر مستقبلي ينبغي أن تلتفت عنه إلى غيره.

ثم إن هناك، أنا أقول لكم دائما أن الله من سننه الصارخة أنه يرخي الحبل للإنسان، لدرجة أن الإنسان يتوهم أنه طليق، وأن الشيء لن يكون إلا وفق مزاجه، وأن جهة لن تحاسبه، فجأة يفاجأ أنه صار في مشكلة كبيرة، وقد دمره الله عز وجل، هذا المعنى مستنبط من قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾

(سورة إبراهيم)

الظالم يشعر أنه طليق، فيأكل المال الحرام و يعتدي على الناس، ولا أحد يحاسبه، فيتوهم بسداجة كسبية أن الله لا علاقة له بسلوكه، فيأتي الرد الإلهي:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) ﴾

(سورة إبراهيم)

إذا نهانا الله أن نظنه غافلا، فهناك من يظنه غافلا، وكيف يظنه غافلا؟ أي الكافر يفعل ما يريد ولا يحاسب، إلى أن يقول المؤمن: "أين الله"، إذا لأن هذا يقع حينما تشتد بالمؤمن بعض الشدائد يقول: أين

الله، قال لي إنسان: مليون يؤدون الصلوات في الحرم المكي ويدعون، والله ما نصر، طيب المؤمنون أنت عليك أن تتأدب مع الله، هو الحكيم، هو الرحيم، جعل لكل شيء وقت مناسب، لذلك من أدعية النبي: **(( اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك، وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك، وخر لي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، واجعل غناي في نفسي، وأمتعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني، وأرني فيه ثأري، وأقر بذلك عيني ))**

(السيوطي - الجامع الصغير عن أبي هريرة)

كل شيء له وقت معلوم، قال تعالى:

**﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً (43)﴾**

(سورة إبراهيم)

الآن دقق في هذه الكلمات:

**﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)﴾**

(سورة الحجر)

يعيشون في أمل:

**﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)﴾**

(سورة الحجر)

معنى ذلك كل عقلك ينبغي أن يرى الحقيقة في وقتها المناسب، أما حين تراها بعد فوات الأوان عقلك ما نفعلك، هؤلاء قال عنهم الله عز وجل:

**﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)﴾**

(سورة الحجر)

إذا البطولة ألا تندم، و البطولة ألا ترى الحقيقة بعد فوات الأوان، يأكل و يتمتع.

لماذا قال عليه الصلاة و السلام: كأني بأهل الجنة، وبأهل النار يعذبون " من قول الله عز وجل:

**﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾**

(سورة النحل)

" أتى " فعل ماض:

## ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

(سورة النحل)

معناه ما أتى، أتى فلا تستعجلوه، أي حينما يعد الله عباده بيوم الحساب كأنه وقع، وعد الله ينبغي أن تستقبله وكأنه وقع، لذلك ترى إنسانا ظالما أو منحرفا أو عاصيا كأنك تراه يعذب في النار، وترى شابا مؤمنا صالحا كأنك تراه ينعم في الجنة، وهذا معنى قوله تعالى:

## ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾

(سورة النحل)

هناك آية تسبب بعض الإشكال للناس، يقول الله عز وجل:

## ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحجر)

النبى يمد عينيه إلى زوجة بارعة الجمال، أيعقل هذا؟ النبى يمد عينيه لغير ما أحل الله له:

## ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحجر)

من أدق تفسيرات هذه الآية أن الله عز وجل ينهى نبيه من شدة حرصه على هداية الخلق أن يتطلع إلى هداية إنسان غارق في حب الدنيا، حتى إن الدنيا زوجة له، هناك من يحب المرأة، وهناك من يحب المال، وهناك من يحب العلو في الأرض، وهناك من يحب السفر، وهناك من يحب الطعام، وهناك من يحب الجنس، هؤلاء مقبورون في شهواتهم، وكأن شهواتهم أزواج لهم، فهذا المقبور في شهوته الغارق في صبوته المتفاني في خلته، هذا دعك منه، لا تمدن عينيك إليه:

## ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ ﴾

(سورة الحجر)

هم اختاروا هذا لأنفسهم، فاحض جناحك للمؤمنين، معناه النبى عليه الصلاة والسلام منزه عن أن يمد عينيه لامرأة لا تحل له، ولكن معنى الآية أن الإنسان إذا أحب شيئا كأنه زوجته أعلى درجة من الالتحام، ومن التشابك هو الزواج، فشهوته زوجته، والعوام يستخدمون هذه العبارة، يقولون: متزوج شغله، متزوج كذا، أي من شدة تلقه بهذا الشيء، إنسان غارق في شهوته، محذور عليه أن يفكر تفكيرا طليقا دعك منه:

## ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) ﴾

(سورة الحجر)

أيها الأخوة ؛ أرجو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا بما علّمنا.